

المراكز الرئيسية لقوافل الحجيج بليبيا من خلال بعض كتابات الرحالة المغاربة (مصراتة أنموذجاً)

أ. عفاف سالم أحمد الشوشان
طالبة دكتوراه قسم التاريخ- الأكاديمية الليبية/مصراتة.

الكلمات المفتاحية	الملخص
الرحلة، الحج، ليبيا، مصراتة، الرحلة الناصرية، رحلة العياشي.	الملخص: تشكل الرحلات أهمية تاريخية وجغرافية، للباحثين، فهي من أوثق المصادر الوصفية التي دونت عن طريق المشاهدة العينية، وهو ما تفتقر إليه المصادر الأخرى، كما أن أغلب الرحالة قد حرصوا على التفريق بين المشاهدة والرواية عند تسجيل معلوماتهم، فقد كان من بين الرحالة رجال علم ودين، قامت رحلاتهم على أساس التزود بالعلم والالتقاء بالعلماء، وقد تعددت أهداف ودوافع الرحلات عند المسلمين منذ تكوين الدولة الإسلامية، ما بين روحية ومادية، وإن ظل الحج إلى بيت الحرام بالأراضي الحجازية من الدوافع والأهداف الروحية، فهي من أعظم الرحلات التي يتشوق إليها المسلمين كافة، وكان منهم من يدون ذلك عند عودته إلى بلاده، حيث يسجلون مشاهداتهم، وما مروا به من البلدان، لنفع المسلمين بتجاربههم، فيصفون رحلاتهم، للفت النظر إلى ما يجب إصلاحه من ولاة الأمر، وكانت هناك مراكز رئيسية في شتى البلاد الإسلامية للترحيب بإخوانهم المسلمين المتوجهين شطر المسجد الحرام، يعنون بهم وبراحتهم، ونتيجة لذلك كثرت الكتب والمؤلفات عن الحج ورحلته وطرقه، وكان لليبيا نصيب من الذكر في هذه المؤلفات، كالرحلة الناصرية، ورحلة العياشي، ومحطاتها الرئيسية لتيسير قوافل الحج المغاربية.

المقدمة:

كان الحج من أهم العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق وعلى كل ضامر إلى الرحلة، والانتقال لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام، فالحج كان ولا يزال رحلة يتشوق إلى أدائها المسلمون كافة، فموسم الحج يعد استقطاباً لكل علماء العصر ومجمعاً للمسلمين كافة من أرجاء المعمورة.

أسهم الحج في تعزيز العلاقات بين المغاربة والمشاركة، فكانت للرحلات الحجازية دور في التواصل والتقدم في شتى جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وخاصة الثقافية منها، إن تدوين الرحلات في كتب الرحالة جعل منها ثروة معرفية، ومادة غنية مهمة للتاريخ والمؤرخين.

وكانت ليبيا من أهم المراكز الرئيسية لقوافل الحجيج، وأحد أركان عملية الاتصال بين المشرق والمغرب، وللطرق بها أهمية خاصة في وصل أجزاء البلاد داخلياً وخارجياً بالممالك والأقطار المجاورة، وفي ربط ليبيا بدول العالم، التي كان أهمها الأراضي المقدسة قبلة جميع المسلمين على مر الأزمان.

و استفادت مصراتة من موقعا الاستراتيجي، فهي تمثل نقطة ارتكاز للكثير من المجموعات الوافدة كالدعاة، والتجار وغيرهم، فأصبحت حلقة من حلقات التواصل بين الشرق والغرب، ومقرّاً مهمّاً لنقل الحجيج من الغرب إلى الشرق حيث الأراضي المقدسة.

تكمُن أهمية الدراسة في الآتي:-

- إبراز دور مدينة مصراتة كمركز من المراكز الرئيسية لقوافل الحجيج بليبيا.
- إلقاء الضوء على جانب من جوانب الحياة الثقافية بالمدينة.
- البحث عن الأثر التاريخي لجهود المدينة في تسيير قوافل الحجيج المغاربية.

إشكالية الدراسة:-

إن بعضاً من كتب الرحالة لم تفرد الحديث عن دور مدينة مصراتة في تسيير قوافل الحجيج المغاربية خاصة، كمركز من المراكز الرئيسية لقوافل الحجيج بليبيا، فكانت الإشارة إلى ذكرها عرضاً مبتوراً في رحلة ما،

تجعل الباحث يصل إلى النزر اليسير، دون تفصيل للخدمات التي قدمتها لقوافل الحجيج، وعليه سنحاول الإجابة عن بعض التساؤلات، منها:-

1. ما مفهوم الرحلة؟ وما أنواعها؟ وما دوافعها؟
 2. ما أهم مراكز الحج الرئيسية بليبيا؟
 3. ما أهم ما ذكر عن مدينة مصراتة في رحلة العياشي؟
 4. ما أهم ما ذكر عن مدينة مصراتة في الرحلة الناصرية؟
- هيكل البحث:-

جعلت هذه الورقة البحثية تحت عنوان: "المراكز الرئيسية لقوافل الحجيج بليبيا من خلال بعض كتابات الرحالة المغاربة (مصراتة إنموذجاً)"، وعليه فقد تألف البحث من مقدمة، وثلاثة محاور:-

- **المحور الأول:** "مفهوم الرحلة، أنواعها، ودوافعها"، وفيه الرحلة لغةً واصطلاحاً، الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، أنواع الرحلات ودوافعها، الرحلات الحجازية "الحج".
- **المحور الثاني:** "المراكز الرئيسية للحجيج في ليبيا"، وفيه محطات فزان ومن طرقها، محطة غدامس، محطات الطريق الساحلي، مصراتة كمركز من المراكز الرئيسية الثانية للحج، وأهمية الموقع كمركز لقوافل الحجيج.
- **المحور الثالث:** -"بعض المرويات من كتب الرحالة عن مدينة مصراتة في الرحلات الحجية"، وفيه أبو سالم العياشي في رحلته "ماء الموائد"، الرحلة الناصرية.

المراكز الرئيسية لقوافل الحجيج بليبيا من خلال بعض كتابات الرحالة المغاربة

(مصراتة أنموذجاً)

المحور الأول: مفهوم الرحلة، أنواعها ودوافعها:

أولاً: الرحلة لغةً واصطلاحاً:

الرحلة لغةً الترحيل الارتحال بمعنى الأشخاص والإزعاج، ويقال: رحل إذا سارⁱ، ويقال: "ارتحل البعير رحلة، سار ومضى"، ويقال ارتحل عن مكان ارتحالاً، ورحل عن المكان يرحل وهو راحل من قوم رحل انتقل، والرحلة اسم للارتحال وللمسيرⁱⁱ، وجاءت الرحلة بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسانⁱⁱⁱ.

ومما يلاحظ أن مفهوم الرحلة في اللغة والاصطلاح يشتركان في معنى واحد، الانتقال من مكان إلى آخر، والسير والانتقال والوجهة، أو المقصد الذي يراد السفر إليه، كما أن لفظ رحلة يطلق على من انتقل من مكان لآخر، فالشخص الذي قام بالرحلة، وقصد جهة أخرى غير موطنه سار إليها^{iv}.

ثانياً: الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة:

حث الإسلام على الرحلة والتنقل للتأمل والاعتاظ من آثار الأمم السابقة، كما وردت عدة آيات في القرآن الكريم لبيان الرحلة، ودوافعها، منها قوله تعالى: (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلٍ^v كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّشْرِكِينَ)^v، كما دعا إلى الارتحال، والتنقل سواء في سبيله، أو في سبيل الحياة الآمنة من الظلم والجوع^{vi}، في قوله تعالى: (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَآعًا كَثِيرًا وَسَعَةً^{vii} وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ^{viii} وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا)^{vii}، وغيرها من الرحلات التي ورد ذكرها في القرآن، ودعا القرآن الناس إلى الرحلة لإداء فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، في قوله تعالى: (وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا)^{viii}.

وفي السنة النبوية حث الرسول ﷺ على الرحلة في طلب العلم، للمعرفة والاستيضاح، فكانت أحاديثه عن العلم والحث عليه متممة لما جاء في القرآن الكريم^x، فعن أبي هريرة، رضى الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: "وَمَنْ سَلَكَ طَرِيقاً يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْماً، سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ بِهِ طَرِيقاً إِلَى الْجَنَّةِ" رواه مُسْلِمٌ^x.

ثالثاً: أنواع الرحلات ودوافعها:

تعددت أغراض الرحلة، وتنوعت مجالاتها لدى الرحالة العرب، الذين ما فتئوا يجوبون البلدان والأمصار، يكابدون عناء الرحلة عبر الصحاري والقفار، فضلاً عن ركوب البحر في بعض الأحيان، يواجهون لججه، ويخوضون المغامرة؛ ليطلعوا على معالم الأمصار والبلدان، ويقيدوا مشاهداتهم في وصف بسائط الأرض وجبالها، ووديانها، وقراها، وأنهارها، وبحارها، وأخبار الأمم وحضاراتها، والشعوب، وثقافتها، ومعالم المدن، وخططها، ودورها، ومدارسها، ومساجدها، وأعلامها^{xii}.

فقد اختلفت أهداف الرحلات وتنوعت فهي:- بدافع ديني، كأداء فريضة الحج^{xii}، وبدافع علمي، لطلب العلم والمعرفة^{xiii}، طلباً للعلم الشرعي خاصة الحديث النبوي، ورواية الدراية، وغيرها، وبدافع اقتصادي، للتجارة بقصد البيع والشراء، كما أن التجارة ارتبطت بموسم الحج، وأصبحت ضرورة من ضروريات الحاج لتغطية نفقات رحلته الحجبية، فمكة منذ عصر قبل الإسلام كانت ملتقى تجارياً^{xiv}، وعرفت رحلة الشتاء والصيف التي ذكرها القرآن الكريم في قوله: (لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2))^{xv}.

وهناك الرحلات الرسمية والإدارية التي يقوم بها الرحالة بطلب من الحاكم^{xvi}، لدوافع سياسية، وتكون لقضاء حاجة، أو التجسس، أو الاستطلاع، أو لعقد الصفقات، وغيرها من الأمور السياسية، وهناك دوافع سياحية وكذلك حب المغامرة^{xvii}.

رابعاً: الرحلات الحجازية "الحج":

تمتعت مكة قبل الإسلام بمكانة مرموقة لدى العرب؛ لأنها كانت مركزاً تجارياً ودينياً مهماً في الجزيرة العربية، يحجون إليها، وفيها تنتهي تجارتهم، وتروج، فضلاً عن ذلك فقد كانت مركزاً من مراكز التسابق الفكري، وبعد مجيء الإسلام أصبح الحج فريضة من الفرائض الرئيسة للمستطيعين إليه سبيلاً، وكان الحج من أهم العوامل التي دفعت بالمسلمين من كل فج عميق، وعلى كل ضامر إلى الرحلة، والانتقال لأداء الركن الخامس من أركان الإسلام، فالحج كان ولا يزال رحلة يتشوق إلى أدائها المسلمون كافة، فموسم الحج يعد استقطاب لكل علماء العصر ومجمعاً للمسلمين كافة من أرجاء المعمورة^{xviii}.

المحور الثاني: المراكز الرئيسية للحجيج في ليبيا:

تعد ليبيا على مر التاريخ البلد الذي قطنته العديد من الأسر المغربية، فقد كان على المغاربة في أسفارهم ورحلاتهم إلى الحج، أن يمروا على ليبيا، وكانت لهم طرق خاصة يسلكونها، ولهم أماكن ينزلون بها للراحة، والتزود في رحلتهم، ومن بين الطرق ما يعرف بالطريق المجاري للساحل المتوسطي، وهو ما كان يسلكه الركب الفاسي، وممن سلك هذا الطريق كل من: " ابن رشيد السبتي، وابن بطوطة، والبارسي، وأحمد زروق^{xix}، والحسن الوزان^{xx}.

لعبت ليبيا دوراً في التفاعل الثقافي في إفريقيا من خلال عاملٍ أعطى ليبيا هذا الدور، ألا هو موقع ليبيا في طريق قوافل الحجيج والتجارة^{xxi}، ونشير هنا إلى أهم محطات قوافل الحج:-

أولاً: محطة فزان ومن طرقها:-

أ- طريق فزان: تقع فزان في جنوب غرب ليبيا الحالية، وهذا الموقع الجغرافي جعلها على الأقل ملتقى طرق للحجاج القادمين من شمال غرب إفريقيا، والسودان الغربي، والسودان الأوسط^{xxii}.

ب- طريق القوافل المغربية: تمر من فزان، ويبدأ هذا الطريق من مراكش ثم يتجه جنوباً إلى درعا ثم توات، ومن هناك تفترق هذه الطريق إلى طريقين: الأولى تتجه شمالاً إلى طرابلس، وهذه هي الطريق التي سلكها الرحالة المغربي "أبوسالم العياشي"، في أواسط القرن الحادي عشر الهجري/ السابع عشر الميلادي، والثانية تتجه شرقاً مباشرةً إلى مرزق، عاصمة فزان، ومن هناك تبدأ الطريق التجارية الرئيسة التي تمر بأوجلة فمصر^{xxiii}.

ت- طريق حجاج السودان الغربي والأوسط: وهي الطريق التي تبدأ من مدينة جاو بالشمال عبر توات بجنوب الجزائر، وغات غربي فزان، وقد عُرف فيما بعد بطريق الحجاج التي تبدأ من تمبكتو وجاو وتمر بابو، حيث ينظم إلى الطريق السوداني الآتية من المنطقة الشمالية في بلاد الهوسا ثم تتجه شمالاً إلى غات ومنها إلى مرزق في فزان^{xxiv}.

ث- طريق آخر يبدأ من حوض بحيرة تشاد ماراً بيلما، وتلتئم مع الطريق السابقة في مرزق، وإلى أقصى الشرق هناك طريق يربط بفزان^{xxv}.

وقد كانت فزان منذ دخول الإسلام إليها منطلقاً لقوافل الحج، وممرّاً لقوافل الحج السودانية والمغربية، منذ القرن الثالث هجري / التاسع الميلادي، فكان هناك ركباً سنوياً للحج ينطلق من فزان.

ثانياً: محطة غدامس:-

نالت غدامس حظاً من الذبوع والشهرة كمركز تجاري متقدم في تجارة القوافل والحجاج بين الشمال والجنوب، وعرف طريق غدامس "تادمكة" في مالي كأحد أهم المعابر لتلك القوافل منذ القرن الثامن الهجري / الرابع عشر الميلادي، وقد سمح مركزها بتقوية العلاقات بين المراكز الصحراوية الأخرى كتوات وتكدا وسلجاسة^{xxvi}.

ثالثاً: محطات الطريق الساحلي:-

من أهم المحطات في الطريق الساحلي الليبي التي كانت توفر للمسافرين الراحة وتمدهم بالطعام والماء وتمكنهم من استبدال وسائل النقل أو تجديدها من جمال، وخيل، وبغال مرتبة حسب مواقعها من الغرب إلى الشرق: برج الملح، الزوارة الحالية، الزوارة العامرة، زواغة، جنزور، قرقارش، طرابلس الغرب، المنشية، تاجوراء، وادي السيد، وادي الرمل، ساحل حامد، مسلاته، زليتن، مصراتة، أباكدية، تاورغاء، العزينات، بئر حسان، بئر مطراو، الزعفران، معطن الأحمر، بلاد سرت، النعيم، العقيلة، أجدابية، صعدة، سلوق، التميمي، عين غزالة، مقرب، الطرفاوي، جرجوب، الجمين، الشامة العقبة الصغيرة^{xxvii}.

لقد أدى هذا التدافع إلى الشرق من الغرب، ومن الغرب إلى الشرق، ومن الجنوب إلى الشمال في شكل القوافل التجارية أو قوافل الحجاج إلى ازدهار مركز العبور الرئيسية في مختلف الجوانب، ومن أهم العوامل لازدهار المجتمعات ولتحقيق ذلك لا بد من الاستقرار السياسي، وهذا ما أدى إلى ازدهار الحياة الاجتماعية والثقافية، فما كانت تخلو قافلة قادمة من المغرب من رجال العلم والثقافة، وقد سيطرت القبائل على طرق القوافل والحجاج بين الشمال والجنوب^{xxviii}، ومن البديهي أن ظروف تلك الرحلات تختلف من رحالة لآخر، من حيث الإقامة في البلدان، وذلك بحسب الأحوال وتفاوت الأزمان. وعليه فإن ليبيا كانت ممرّاً هاماً لركب الحجاج المغاربة^{xxix}.

رابعاً: مصراتة كمركز من المراكز الرئيسية الثانية للحجاج:

أن تاريخ تنظيم قوافل الحج للبقاع المقدسة يرجع إلى وقت مبكر، ولتلك التنظيمات أسست عدة رباطات وعمرات ومعطن، وحفرت عدة مواجن عبر الطريق الطويل الذي يربط المغرب بالمشرق^{xxx}، وكانت مصراتة إحدى المراكز التي تقدم المساعدات اللازمة لكل الذين يريدون تلك الديار^{xxxi}.

أصبحت مصراتة من المحطات الرئيسية التي يجب على المارين للحج أن يستريحوا بها، فكانت المحطة الثانية للحجاج والرحالة أثناء إقامة الشيخ أحمد زروق، وازدادت بعد وفاته، حيث أراد الشيخ أن تكون مصراتة بعد وفاته حلقة وصل بين المشرق والمغرب، بالإشعاع الذي تم له من خلال طريقته الزروقية، والمريدين الذين تربوا وتعلموا على يديه، فكانت المكان الذي يتردد عليه الصوفية، والرحالة، خصوصاً المغاربة الذين تتبعوا آثار أهل التصوف ودونوا ما رأوه ولاحظوه في كتبهم، وتناقلوا فيما بينهم الروايات النفعية والكرامات^{xxxii}.

أهمية الموقع كمركز لقوافل الحجاج:

هيأت مدينة (توباكتس^{xxxiii} Tubacti) القديمة، أسس مدينة مصراتة الحالية، ولا شك أن رأس مصراتة، أو ما أسماه الرحالة العربي الإدريسي برأس (كانان) الذي يعلو عن سطح البحر بثلاثين أو أربعين متراً، هو المكان الذي أسماه بطليموس (بكفالاس بروم) وهي خصبة جداً، والقوة الانبثائية لأرضها تأتي بمحصول غزير، ولعل

رأس بوشعيفه الذي بمصراته هو المكان الذي عرفه بطليموس بـ (تراياراروم)، ويظن أن المزار المعروف بمهاد حسان، أو جرف حسان كان معسكراً للقائد حسان بن النعمان أحد رجال القرون الوسطى^{xxxiv}.

المحور الثالث: بعض المرويات من كتب الرحالة عن مصراته في الرحلات الحجية:

ذكر التازي في كتابه (رحلة أمير مغربي)، أن مصراته تعتبر المرحلة الأخيرة التي يودع فيها المؤمنون عمران طرابلس، وهم مقبلون منها على ربوع خالية، ومنها إلى بوشعيفة، وإلى سرت^{xxxv}، ومن الرحلات المغربية التي ذكرت فيها المدينة كمحطة من محطات الحجج المغربية، الآتي:-

أولاً: أبو سالم العياشي^{xxxvi} في رحلته ماء الموائد^{xxxvii}:

يعد العياشي من أبرز الشخصيات المغربية، التي ذاع صيتها قديماً وحديثاً، وهو من أبرز علماء الأسرة العياشية، أديب، ورحالة، وفقه، وداعية إلى تعاليم الإسلام السمحة، تعلم بالزاوية العياشية، ثم التحق بالزاوية الناصرية، ثم جامع القرويين، قام برحلات ثلاث: الأولى في سنة 1053هـ/1643م، والثانية سنة 1064هـ/1658م، والثالثة والأخيرة الموسومة بـ "ماء الموائد"، وهي أفضل رحلاته دُونَ فيها خلاصة تجربته في الحجاز، وتضم شتى أصناف العلوم والمعارف^{xxxviii}.

وقد كان خط سير الرحلة، وفق الآتي: انطلقت الرحلة من سلجاسة، مروراً بالمغرب، ثم الجنوب الجزائري، فالجنوب التونسي، فطرابلس، فالقاهرة، فالحرمين الشريفين، ثم انتقل إلى المدن الشامية^{xxxix}.

قال العياشي في كتابه: " ولم نبت يوم رحيلنا من أزليتن، إلى أول بلاد مسراته^{xl}"، وقد ذكر في رحلته أنه مكث في زاوية الشيخ أحمد الزروق، ومن الغد ارتحلنا، ونزلنا بزاوية الشيخ المحقق العالم، العارف بالله، الدال على الله، صاحب العلمين، ومحقق النظرين، ومحل المذهبين ومرتضى الفريقيين، مقتدى أهل العلم الباطن، ومتبوع أهل الظاهر، وينبوع الأسرار في سائر المظاهر، قطب مغربنا، وإمام أئمتنا، سيدي أبي العباس أحمد زروق البرنسي الفاسي-حقق الله إليه نسبتنا، وخلص في محبته سريرتنا، أمين وكان نزولنا بزاويته^{xli} صبيحة يوم الجمعة" وفي المسجد صلى صلاة الجمعة، وزار الخلوة بعد الفراغ من الصلاة، وهي أمام المسجد^{xlii}.

وقد كان أهل ليبيا عامةً، وخاصة علمائها يقومون بإكرام الوفود والعلماء، والاستفادة منهم بالتلقي، والأخذ عنهم، لاسيما أن أكثر علمائها لم تكن لديهم رحلات، فأغنتهم هذه الرحلات القادمة إليهم عن ذلك، فتكوّن لديهم نصيب من العلم لا بأس به^{xliii}.

ومن علماء مصراته الذين يذكرون في هذا الباب علي بن عاززة الفقيه القاضي المصراتي، فقد كان جده من أصحاب الشيخ أحمد زروق، لقيه العياشي بمصراته سنة 1072هـ، وأعطى لأبي سالم ورقة بخط الشيخ أحمد زروق من شرح الرسالة، ووصفه بأنه أعلم هذا البلد في الفقه^{xliv}، حين قال: "... وليس في هذا البلد أمثل من هذا الرجل في بعض فروع الفقه^{xlv}".

وكان رحيله من زاوية الزروق، صبيحة الأحد وهو آخر العمران هناك، على طريق الحاج إلى الإسكندرية، إلى بوشعيفة، وقد دأب الصالحون على الدعاء عند مغارة بساحل البحر، صغيرة مستقبلة البحر، وقد مرّ به آخرون من الأخيار، وبه فارق آخر العمران نحو برقة^{xlvi}.

ثانياً: الرحلة الناصرية:

من تلك الرحلات الرحلة الناصرية التي تعد إحدى رحلات الحج المغربية، التي ضمت في طياتها بعض الأخبار عن البلاد الليبية أثناء قدوم صاحب الرحلة من المغرب الأقصى متوجهاً إلى حج بيت الله الحرام، وخلال رحلة العودة من المشرق إلى المغرب، إذ كانت الأراضي الليبية ممر الرحلة في الذهاب والعودة^{xlvii}.

رحل الناصري إلى المشرق مرتين لأداء فريضة الحج، الرحلة الأولى كانت سنة 1196هـ/1782م، كتب على إثرها مصنفاً ضخماً عُرف بـ "الرحلة الناصرية الكبرى"، والثانية كانت 1211هـ/1796م، كتب على إثرها مصنفاً آخر عُرف بالرحلة الصغرى^{xlviii}، انطلقت الرحلة الأولى من مقر الزاوية الناصرية في مسقط رأسه بتمكروت سنة 1196هـ/1762م، ثم سلجاسة، بسكرة، القيروان، توزر، قابس، طرابلس، برقة، القاهرة، القلزم، سينا، العقبة، وأخيراً مكة^{xlix}.

وقد ذكر محمد بن عبدالسلام الناصري¹ في رحلته الكبرى أنه قد خيم في مصراتة، بعد أن ترك طرابلس، ومنها لتاجوراء، ثم أزيلين، ودخل منها لمصراتة، حيث قال: "... وبتنا بعد مجاوزة البلد بموضع يدعى الدفينة، ... ثم ارتحلنا في أراض متسعة خالية من العمران، وبها الآبار العذبة في سالف الزمان، فخيمنا بالكوش من مصراتة وهي قرى ظاهرة، ومناظر على ظهورها باهرة، سكانها ذو محبة، وبها أشجار ونخيل وآبار ومياه عذبة، وبها وصلتنا رسائل الركبⁱⁱ الفارسي، وأنه نزل بطرابلس بعدناⁱⁱⁱ".

مكث الناصري في مدينة مصراتة لمدة يومين، لغرض التزود من سوقها، قال: "فأقمنا بها يومين للتسويق، وقام بها سوق عظيم على التحقيق من سائر ما يحتاجه الحاج، خصوصاً الزرابي والمطايا، وبها يستعان على قطع أم الفقار والبراياⁱⁱⁱⁱ"، ومما يتعلق بما ذكر سابقاً أن الرحلات الحجازية تميزت بأنها رحلات لغرض العلم، وقف الناصري على شرح لرسالة بخط الشيخ البرنسي في مصراتة، وقد وصفها بقوله: "...، وكان والله عليها رونق وبروق^{liv}".

أثنى الناصري على أهل مدينة مصراتة وشكر لهم صنيعهم، تجديداً منهم للعهد وإفاء للمحبة والمودة، وقد امتلأت قلوبهم مودة وجوانحهم محبة للذرية الناصرية، ولسائر الركبان النبوية القاصدة لبيت الله الحرام، وهو ليس مستغرباً لوجود الشيخ أبي العباس أحمد بن زروق الفاسي وبينهم، عمود خبائها، وقطب دائرتها من الأخيار^{lv}.

وقد ذكر الناصري في رحلته الإمام أحمد زروق، وأسهب في ذكر مناقبه، استناداً إلى ما نقله عن أبي سالم العياشي، وقد تناول شيئاً من آثاره العلمية في مجال: الفقه، والتصوف، وعلوم القرآن الكريم، ولم يذكر علماء آخرين غيره إلا عرضاً، بإشارات مقتضبة، من خلال ذكر أسمائهم، دون تعريف بهم^{lvi}.

الخاتمة:

تعد ليبيا على مر التاريخ الإسلامي مركزاً من مراكز الحجيج في الشمال الإفريقي، ومعبراً للرحلات المغاربية إلى الأراضي المقدسة، مكة، والمدينة، فكانت لهم طرق خاصة يسلكونها، وأماكن ينزلون بها للراحة، والتزود في رحلاتهم الحجازية.

كانت مدينة مصراتة من المراكز الرئيسية لقوافل الحجيج بليبيا، فقد كانت حلقة وصل بين المشرق، والمغرب، ومقراً مهماً لنقل الحجيج من الغرب إلى الشرق، من خلال تقديم الخدمات اللازمة للقوافل الحجية.

ومن العوامل التي أعطت المدينة هذا الدور، الموقع الاستراتيجي في طريق قوافل الحج، ووقوعها ضمن أهم المحطات في الطريق الساحلي الليبي، التي كانت توفر فيها الراحة للمسافرين، وتقديم فيها الطعام، والماء، وتمكن الحجاج من استبدال وسائل النقل، والتزود بما يلزم الحاج من أسواقها.

كانت الرحلات الحجازية التي ضمت في طياتها أخباراً عن مدينة مصراتة، كالرحلة العياشية، والرحلة الناصرية، تحوي معلومات تكاد تكون مبتوره، في الكثير من النواحي، إلا أنها أعطت لمحة تاريخية عن الدور الذي لعبته المدينة في تقديم خدمات للقاصدين لبيت الله الحرام، كمركز من مراكز الرئيسية في طريق القوافل المغاربية عامةً والحجازية خاصة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

الكتب السماوية:

– القرآن الكريم.

المصادر العربية:

- الدمشقي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت: 631-676هـ)، (1988م)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ط2، دار الأندلس، بيروت.
- العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر، (1996م)، ماء الموائد، تحقيق: سعد زغول عبدالحميد، وآخرون، دار المعارف، الإسكندرية.
- المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الأفرقي، (دت)، لسان العرب، ج11، دار صادر بيروت.
- الناصري، أبي عبد الله محمد بن عبد السلام، (ت: 1239هـ/1823م)، (2013م)، الرحلة الناصرية الكبرى، تحقيق المهدي الغالي، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية.

ثانياً: المراجع:

- جناحة، رحاب السيد، (2014م)، الرحلة الحجازية، كتابات بعض الرحالة المسلمين القرن (3-5هـ/9-11م)، ط1، دار الأفاق العربية، القاهرة.
- خشيم، علي فهمي، (2002م)، أحمد زروق والزروقية "دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة"، ط3، دار المدار الإسلامي.
- الجبراني، حسين إبراهيم محمد مصطفى، (2017م)، الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الإسلامي في العصر المملوكي الأول 648-784هـ / 1250-1382م، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع.
- التازي، عبدالهادي، (دت)، أمير مغربي في طرابلس 1145هـ/1751م "ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحاقي"، دط، دن.
- ناجي، محمود، (1970م)، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: أدهم، عبدالسلام، الأسطى، محمد، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ليبيا.
- الشريف، ناصر الدين محمد، (1999م)، الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، ط1، دار البيادق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.
- ونيس عبدالقادر الشركسي، حسين مسعود أبومدينة، (2010م)، جغرافية مصراتة، ط1، دار ومكتبة الشعب للطباعة والنشر والتوزيع، مصراتة-ليبيا.

ثالثاً: المجالات العلمية:

- إدريس مفتاح حمودة، (2016م)، "بعض أعلام اللغة العربية في البلاد الليبية من خلال الرحلة الناصرية دراسة تاريخية نقدية"، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية-كلية الدعوة وأصول الدين، العدد (1).
- أبو فارس، خالد حمزة، (دت)، "الحياة العلمية في ليبيا من خلال رحلة العياشي (فتاوى أحمد المكنى نموذجاً)"، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد (8).

- القعود، زكية بالناصر، (2014م)، "دور القوافل التجارية في التفاعل الثقافي بين ليبيا والمغرب العربي وما وراء الصحراء والسودان في العصر الوسيط"، جامعة قاريونس/كلية الآداب، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد (86).
- كريم، عادل عمر إبراهيم، (2013م)، "جوانب من التواصل الصوفي الليبي المغربي"، العدد (ج3,2)، مجلة الغنية، الرابطة المحمدية للعلماء-مركز دراس بن إسماعيل لتقريب المذهب والعقيدة والسلوك، المغرب.
- عبد الكريم، بناهض، (2017م)، "البنية الزمنية للرحلة العياشية ماء الموائد، مجلة إشكالات"، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي تامنغست، العدد (12)، الجزائر.

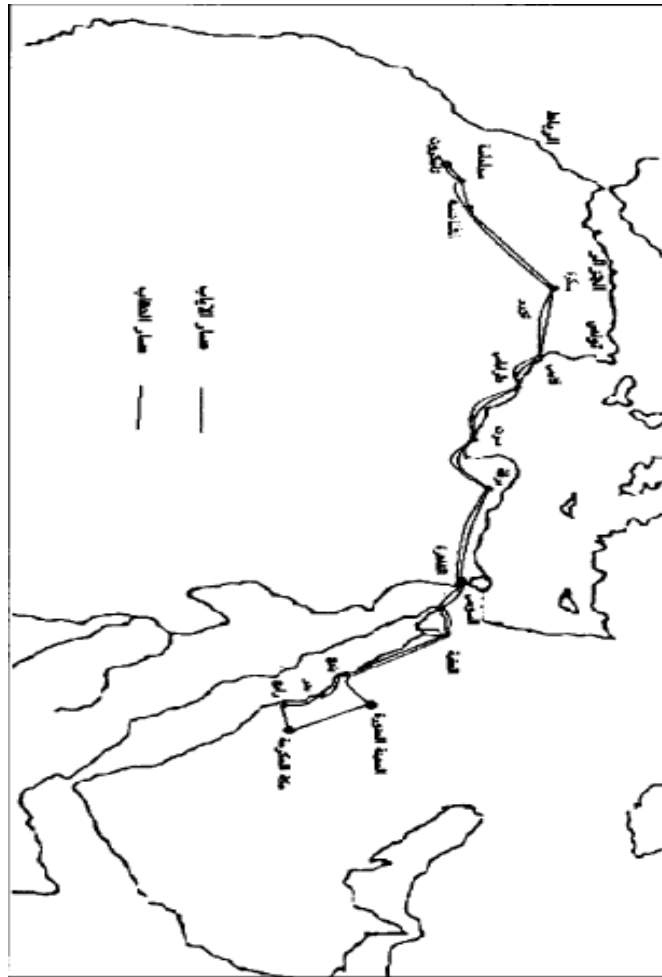
رابعاً: الرسائل العلمية:

- فراحتية، سامية، (2018-2019م)، ركب الحج الجزائري من خلال كتب الرحلة في العهد العثماني (1518م-1830م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بوضياف-المسيلة، الجزائر.
- أبوحلالة، مصطفى فرج حسين، (2020م)، النشاط التجاري في ليبيا منذ القرن الرابع حتى مطلع القرن التاسع الهجري (10-15م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة كرابوك.

الملاحق:

ملحق رقم (1):

مسار الرحلة الناصرية^{viii}.



الهوامش:

- i-المصري، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ابن منظور الأفرقي، (دت)، لسان العرب، ج11، دار صادر بيروت، ص275.
- ii- الجزائري، حسين إبراهيم محمد مصطفى، (2017م)، الرحلات العلمية بين مصر والمشرق الإسلامي في العصر المملوكي الأول 648-784هـ / 1250-1382م، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، ص60.
- iii- ابن منظور، المصدر السابق، ص276.
- iv- جناحة، رحاب السيد، الرحلة الحجازية كتابات بعض الرحالة المسلمين القرن (3-5هـ/9-11م)، ط1، دار الآفاق العربية، القاهرة، 2014م، ص48.
- v- سورة الروم ، آية(42).
- vi- فراحتية، سامية، (2018-2019م)، ركب الحج الجزائري من خلال كتب الرحلة في العهد العثماني (1518م-1830م)، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة محمد بوضياف-المسيلة، الجزائر، ص8.
- vii- سورة النساء، آية (100).
- viii- سورة آل عمران، آية (97).
- ix- فراحتية، سامية، المرجع السابق، ص8.
- x- الدمشقي، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي، (ت:631-676هـ)، (1988م)، رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، ط2، دار الأندلس، بيروت، ص385.
- xi- حمودة، إدريس مفتاح، (2016م)، "بعض أعلام اللغة العربية في البلاد الليبية من خلال الرحلة الناصرية دراسة تاريخية نقدية"، مجلة أصول الدين، الجامعة الأسمرية -كلية الدعوة وأصول الدين، العدد (1)، ص413.
- xii- فراحتية، سامية، المرجع السابق، ص11.
- xiii- جناحة، رحاب السيد، المرجع السابق، ص82.
- xiv- فراحتية، سامية، المرجع السابق، ص11.
- xv- سورة قريش، آية (1-2).
- xvi- جناحة، رحاب السيد، المرجع السابق، ص57.
- xvii- فراحتية، سامية، المرجع السابق، ص12.
- xviii- الجزائري، حسين إبراهيم محمد مصطفى، مرجع سابق، ص63.
- xix- أحمد زروق: هو أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي أبو العباس، عُرف بزروق، ولد سنة 846هـ. للتفاصيل ينظر: الشريف، ناصر الدّين محمد، (1999م)، الجواهر الإكليلية في أعيان علماء ليبيا من المالكية، ط1، دار البيادق للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ص128.
- xx- كريم، عادل عمر إبراهيم، (2013م)، "جوانب من التواصل الصوفي الليبي المغربي"، العدد (ج3،2)، مجلة الغنية، الرابطة المحمدية للعلماء-مركز دراس بن إسماعيل لتقريب المذهب والعقيدة والسلوك، المغرب، ص2.
- xxi- القعود، زكية بالناصر، "دور القوافل التجارية في التفاعل الثقافي بين ليبيا والمغرب العربي وما وراء الصحراء والسودان في العصر الوسيط"، جامعة قاربونس/كلية الآداب، مجلة آفاق الثقافة والتراث، العدد (86)، 2014م، ص136.
- xxii- القعود، زكية بالناصر، المرجع السابق، ص137.
- xxiii- القعود، زكية بالناصر، المرجع نفسه، ص137.

- xxiv- نفسه، نفسها.
- xxv- نفسه
- xxvi- القعود، زكية بالناصر، مرجع سابق، ص137.
- xxvii- القعود، زكية بالناصر، المرجع السابق، ص137.
- xxviii- القعود، زكية بالناصر، المرجع نفسه، ص137.
- xxix- أبوحلالة، مصطفى فرج حسين، (2020م)، النشاط التجاري في ليبيا منذ القرن الرابع حتى مطلع القرن التاسع الهجري (10-15م)، أطروحة دكتوراه غير منشورة، جامعة كرابوك، ص164.
- xxx- التازي، عبدالمهدي، (دت)، أمير مغربي في طرابلس 1145هـ/1751م "ليبيا من خلال رحلة الوزير الإسحافي"، دط، ص115.
- xxxi- التازي، عبدالمهدي، المرجع السابق، ص115.
- xxxii- كريم، عادل عمر إبراهيم، مرجع سابق، ص3.
- xxxiii- توباكتس: تقع غرب خليج سرت، وهي المدينة الفنيقية الوحيدة التي لم يتم تحديد موقعها على وجه الدقة، وقد تعددت الآراء حولها، فهناك من يتوقع أن تكون في الجزء الشرقي لمدينة مصراته الحالية عند موقع ميناء قصر أحمد، في حين روى آخرون أنها تقع عند مرسى الجزيرة شمال غرب منطقة مصراته، وحدد آخرون موقعها جنوباً، قريباً من تاورغاء، وتستند الآراء الحديثة على دراسات المسح الأثري أن مدينة توباكتس كانت تقع في منطقة المركز الحالي لمدينة مصراته، فهي تشير إلى وجود مقابر، وآثار مبان قديمة في منطقة المركز. للتفاصيل ينظر: الشركسي، ونيس عبدالقادر، أبو مدينة، حسين مسعود، (2010م)، جغرافية مصراته، ط1، دار ومكتبة الشعب للطباعة والنشر والتوزيع، مصراته-ليبيا، ص127.
- xxxiv- ناجي، محمود، (1970م)، تاريخ طرابلس الغرب، ترجمة: أدهم، عبدالسلام، الأسطى، محمد، منشورات الجامعة الليبية، كلية الآداب، ص24.
- xxxv- التازي، عبدالمهدي، مرجع سابق، ص59.
- xxxvi- أبو سالم العياشي: هو أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، أُلِّب بالمالكي المغربي، ولد أواخر شعبان 1037هـ/1628م، في قبيلة آيت عياش، وهي قبيلة بربرية تتاخم بلاد الصحراء من أحواز سلجماسة، ويعدُّ أبو سالم العياشي من أبرز علماء الأسرة العياشية. للتفاصيل ينظر: عبدالكريم، بناهض، (2017م)، البنية الزمنية للرحلة العياشية ماء الموائد، مجلة إشكالات، معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي تامنغست، العدد (12)، الجزائر، ص174.
- xxxvii- ماء الموائد، اختار العياشي اسم ماء الموائد عنواناً لرحلته، و يقصد بذلك التعبير عن أنها رحلة العطش في الصحراء القاحلة، صحراء برقة، و صحراء التيه، بين مصر وسواحل جنوب الشام وإلى جانب العطش كانت القوافل تواجه القحط والخن و قلة الزاد والوباء، على طول الأرض. للتفاصيل ينظر: العياشي، أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر، (1996م)، ماء الموائد، تحقيق: سعد زغلول عبدالحميد، وآخرون، دار المعارف، الإسكندرية، ص31.
- xxxviii- عبدالكريم، بناهض، المرجع السابق، ص175.
- xxxix- عبدالكريم، بناهض، المرجع نفسه، ص174.
- xl- العياشي، المصدر السابق، ص134.
- xli- تقع زاوية زروق بمصراته في مكان أهل يسمى "دكيران" يتوسط الطريق بين مركز المدينة، ومينائها "قصر أحمد"، محاط بعدد وفير من القرى والقبائل، وهي تتكون من: مسجد جامع، وضريح الشيخ، ومكتبة، ومعهد لتحفيظ القرآن. للتفاصيل ينظر: خشيم، علي فهمي، (2002م)، أحمد زروق والزروقية "دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة"، ط3، دار المدار الإسلامي، ص184-185.

- xlii-العياشي، المصدر نفسه، ص137.
- xliii-أبوفارس، خالد حمزة، (دت)، "الحياة العلمية في ليبيا من خلال رحلة العياشي (فتاوى أحمد المكنى نموذجاً)"، مجلة البحوث الأكاديمية، العدد (8)، ص92.
- xliv-العياشي، المصدر السابق، ص140؛ أبوفارس، خالد حمزة، المرجع السابق، ص99.
- xliv-العياشي، المصدر السابق، ص137.
- xlvi-العياشي، مصدر سابق، ص142.
- xlvii-حمودة، إدريس مفتاح، مرجع سابق، ص413.
- xlviii-الناصرى، أبي عبد الله محمد بن عبد السلام، (ت:1239هـ/1823م)، (م:2013م)، الرحلة الناصرية الكبرى، تحقيق المهدي الغالي، ط1، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، ص10.
- xlix-الناصرى، المصدر السابق، ص25-26؛ انظر الملحق: رقم (1)، خط سير الرحلة الناصرية.
- I-محمد بن عبد السلام الناصري: صاحب الرحلة الناصرية، هو محمد بن عبد السلام بن محمد الكبير بن الشيخ محمد بن ناصر الدرعي التامكروتي، آخر كبار شيوخ الزاوية الناصرية والشاذلية، ولد "بتامكروت" سنة 1145هـ/1732م، تلقى تعليمه الأول بمقر الزاوية الناصرية. للتفاصيل ينظر: الناصري، المصدر السابق، ص10.
- li-الركب: اجتماع قافلة الحجاج المغاربية، يرجع تأسيس الركب المغربي، إلى أواسط العهد الموحدى، حيث وصل عدد الركبان إلى خمسم، وهي: الركب السلجماسي، الركب الفاسي، الركب المراكشي، الركب الشنكيطي، الركب البحري. للتفاصيل ينظر: الناصري، المصدر نفسه، ص103-104.
- lii-نفسه، ص360-361.
- liii-نفسه، ص361.
- liv-نفسه
- lv-نفسه، ص362-366.
- lvi-حمودة، إدريس مفتاح، مرجع سابق، ص423.
- lvii-الناصرى، المصدر السابق، ص34.